

## المطلب الأول: أهمية الموضوع والتصنيف فيه

تظهر أهمية علم المناسبة في القرآن الكريم، من خلال بيان أسرار الاتصال بين آيات القرآن وسوره، هذا الاتصال الذي يمثل سدى ولحمة البيان القرآني. ولما كان هذا العلم من الأهمية بكان أفردته بالتصنيف علماء أجلاء، كما قال الحافظ السيوطي في الإتيقان، سواء أكانت المناسبة بين سابق الآيات ولاحقها أم بين سابق السور ولاحقها، لكن عنايتنا في هذا البحث تكمن في بيان مناسبة السور عند العلامة الألوسي فحسب من خلال سفره الجامع لروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني} وهو كتاب غني عن التعريف، إذ ما من باحث في التفسير إلا وهو من المغترفين منه لذا لم أعرج عليه تعريفاً؛ لأن المعروف لا يعرف؛ وإلا كان عمل المعرف عبثاً.

وقد أغنانا الإمام السيوطي ببيان من صنف في علم المناسبة عموماً، وببيان شرف هذا الفن الأصيل من فنون علوم القرآن الكريم فقال:

"أَفْرَدَهُ بِالتَّأْلِيفِ الْعَلَّامَةُ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ شَيْخُ أَبِي حَيَّانٍ فِي كِتَابِ سَمَاءِ الْبُرْهَانِ فِي مُنَاسَبَةِ تَرْتِيبِ سُورِ الْقُرْآنِ" وَمِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ الشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّينِ الْبِقَاعِيُّ فِي كِتَابِ سَمَاءِ "نَظْمِ الدَّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيِ وَالسُّورِ"، وَكِتَابِي الَّذِي صَنَعْتُهُ فِي أَسْرَارِ التَّنْزِيلِ كَافِلٌ بِذَلِكَ، جَامِعٌ لِمُنَاسَبَاتِ السُّورِ وَالْآيَاتِ مَعَ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ بَيَانِ وَجْهِ الْإِعْجَازِ وَأَسَالِيبِ الْبَلَاغَةِ، وَقَدْ لَخَّصْتُ مِنْهُ مُنَاسَبَاتِ السُّورِ خَاصَّةً فِي جُزْءٍ لَطِيفٍ سَمَّيْتُهُ "تَنَاسُقَ الدَّرَرِ فِي تَنَاسُبِ السُّورِ" وَعِلْمُ الْمُنَاسَبَةِ عِلْمٌ شَرِيفٌ قَلَّ اعْتِنَاءُ الْمُفَسِّرِينَ بِهِ لِذِقَّتِهِ، وَمِمَّنْ أَكْثَرَ فِيهِ الْإِمَامُ فخر الدين وقال في تفسيره أَكْثَرُ لَطَائِفِ الْقُرْآنِ مُودَعَةٌ فِي التَّرْتِيبَاتِ وَالرَّوَابِطِ<sup>(١)</sup>.

(١) مفاتيح الغيب: ١١٠/١٠.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي "سِرَاجِ الْمُرِيدِينَ": ارْتِبَاطُ آيِ الْقُرْآنِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ حَتَّى تَكُونَ كَالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ مُتَّسِفَةً الْمَعْنَى مُنْتَظِمَةً الْمَبَانِي، عِلْمٌ عَظِيمٌ لَمْ يَنْعَرِّضْ لَهُ إِلَّا عَالَمٌ وَاحِدٌ عَمِلَ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ لَنَا فِيهِ فَلَمَّا لَمْ نَجِدْ لَهُ حَمَلَةً وَرَأَيْنَا الْخَلْقَ بِأَوْصَافِ الْبُطْلَةِ خَتَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ وَرَدَدْنَاهُ إِلَيْهِ:

وَقَالَ غَيْرُهُ: أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ عِلْمَ الْمُنَاسَبَةِ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيُّ<sup>(١)</sup> وَكَانَ غَزِيرَ الْعِلْمِ فِي الشَّرِيعَةِ وَالْأَدَبِ وَكَانَ يَقُولُ عَلَى الْكُرْسِيِّ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِ لَمْ جُعِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلَى جَنْبِ هَذِهِ؟ وَمَا الْحِكْمَةُ فِي جَعْلِ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى جَنْبِ هَذِهِ السُّورَةِ وَكَانَ يُزَرِّي عَلَى عُلَمَاءِ بَغْدَادَ لِعَدَمِ عِلْمِهِمُ بِالْمُنَاسَبَةِ.

وَقَالَ الشَّيْخُ عَزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: الْمُنَاسَبَةُ عِلْمٌ حَسَنٌ، لَكِنْ يُشْتَرَطُ فِي حُسْنِ ارْتِبَاطِ الْكَلَامِ أَنْ يَقَعَ فِي أَمْرٍ مُتَّحِدٍ مُرْتَبِطٍ أَوَّلُهُ بِآخِرِهِ فَإِنْ وَقَعَ عَلَى أَسْبَابٍ مُخْتَلِفَةٍ لَمْ يَقَعَ فِيهِ ارْتِبَاطٌ، وَمَنْ رَبَطَ ذَلِكَ فَهُوَ مُتَكَلِّفٌ بِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا بِرَبْطِ رَكِيكٍ يُصَانُ عَنْ مِثْلِهِ حَسَنُ الْحَدِيثِ فَضْلًا عَنْ أَحْسَنِهِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ فِي نِيفٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً فِي أَحْكَامٍ مُخْتَلِفَةٍ شُرِعَتْ لِأَسْبَابٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ لَا يَتَأَتَّى رِبْطُ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الشَّيْخُ وَلِيُّ الدِّينِ الْمَلَوِيُّ: قَدْ وَهَمَ مَنْ قَالَ لَا يُطْلَبُ لِلْآيِ الْكَرِيمَةِ مُنَاسَبَةٌ لِأَنَّهَا عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ الْمُفْرَقَةِ، وَفَصَلُ الْخُطَابِ أَنَّهَا عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ تَنْزِيلًا، وَعَلَى حَسَبِ الْحِكْمَةِ تَرْتِيبًا وَتَأْصِيلًا فَالْمُصَحَّفُ عَلَى وَفْقِ مَا فِي اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ مَرْتَبَةُ سُورِهِ كُلِّهَا وَآيَاتِهِ بِالتَّوْقِيفِ كَمَا أُنْزِلَ جُمْلَةً إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ وَمِنْ

(١) هو الفقيه الشافعي الحافظ، أبو بكر عبد الله بن محمد، قرأ على المزني، ثم صار إماماً للشافعية بالعراق، توفي سنة ٣٢٤ "شذرات الذهب ٢ / ٣٠٢".

(٢) مفاتيح الغيب: ١١٠/١٠.

الْمُعْجَزِ الْبَيِّنِ أُسْلُوبُهُ وَنَظْمُهُ الْبَاهِرُ وَالَّذِي يَنْبَغِي فِي كُلِّ آيَةٍ أَنْ يُنْحَتَ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ عَنْ كَوْنِهَا مُكَمَّلَةً لِمَا قَبْلَهَا أَوْ مُسْتَقَلَّةً ثُمَّ الْمُسْتَقَلَّةُ مَا وَجَّهَ مُنَاسِبَتَهَا لِمَا قَبْلَهَا ؟ فَفِي ذَلِكَ عِلْمٌ جَمٌّ وَهَكَذَا فِي السُّورِ يُطْلَبُ وَجَّهٌ اتِّصَالُهَا بِمَا قَبْلَهَا وَمَا سَبَقَتْ لَهُ أَنْتَهَى". (١)

والمناسبة عموماً يصار إليها بالتدبر والاستنباط والتأمل المبني على علم ماهر بما يجب أن يتضلع به المفسر من العلوم التي تخدم القرآن الكريم، ومتى خلت المناسبة من ذلك كانت مبنية على الاعتساف أو الارتجال وعدم التدبر، وذلك مما يضر بكلام الله تعالى ولا ينفعه.

---

(١) قال ابن عاشور نقل عن ابن العربي وساق كلامه منسوباً إلى سراج المريدين، كما نقل — أيضاً — كلام العز بن عبد السلام الذي أورده السيوطي. انظر التحرير والتنوير: ١١٦/١. وانظر البرهان للزركشي: ٣٦/١.